

المدرسة العراقية لدراسة تاريخنا القديم

أ. د. عامر سليمان^(*)

يوحي عنوان البحث إلى ان هناك مدرسة غير عراقية اعتنت بدراسة تاريخنا القديم لها طريقتها ومقاصدها الخاصة وان علينا وضع أسس علمية متينة لمدرسة عراقية متميزة لدراسة هذا التاريخ تخلو من المقاصد والأهداف غير الموضوعية. لقد شاعت الأقدار ان يكتب تاريخ العراق القديم بأقلام أجنبية أوروبية كانت أو غيرها ومن منظور غربي قديماً وحديثاً ولم يسهم العراقيون والعرب بعامّة. بكتابة تاريخهم القديم أو الكشف عن آثاره وقراءة ما خلقه لنا العراقيون القدماء من نصوص مسمارية إلا في مدة متأخرة جداً لا تتعدى أواسط القرن العشرين. فأما قديماً، فقد ضمن الأحبار اليهود عدداً من أسفار العهد القديم التي دونت في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في بلاد بابل عندما كان اليهود أسرى فيها، أخباراً مقتضبة عن الآشوريين والبابليين، أعداءهم التقليديين وبأسلوب اتصف بالحق والكراهية ومن منظورهم الخاص وفي القرون القليلة التالية التي سبقت التاريخ الميلادي، وبعد ان تعرض العراق لغزو الاسكندر المقدوني ووقع تحت الاحتلال السلوقي، زار المنطقة عدد من الكتاب اليونان ودونوا مشاهداتهم وملاحظاتهم عن العراق ونقلوا ما سمعوا من قصص وأخبار عن تاريخه القديم من السكان المحليين دون تمحيص أو تدقيق، وفي القرون الوسطى، كان للرحالة والسواح الأوربيين دورٌ بارزٌ في تشجيع عدد من المغامرين وطلاب الشهرة والمال والساعين للسيطرة على بلدان الشرق الأدنى ومنها الطرق لزيارة العراق والكشف عن مدنه القديمة والبحث عن الكنوز المطمورة فيها من خلال ما نشر عن تاريخ العراق القديم وما نقل من آثاره المتحفية إلى أوربا، وبعد ان حلَّ القرن التاسع عشر الميلادي بدأت أعمال الحفر والتنقيب للبحث عن المدن التي طالما سمع الغربيون عنها في كتابهم المقدس، وضمت بعثات التنقيب الأولى عدداً من الدبلوماسيين

(*) عضو المجمع العلمي - أستاذ في قسم الآثار - كلية الآداب / جامعة الموصل.

من تلك الكتابات العراقية القديمة بالخط اللاتيني لم يثر أي عناية لدى الباحثين العرب وهذا يفسّر لنا غياب البحوث العربية عما تضمنته تلك الكتابات، إلى جانب ذلك، فقد زاد من عزلة ما كتب عن الكتابات المسمارية انها ترجمت إلى اللغات الأجنبية ونشرت عنها البحوث والدراسات باللغات الأجنبية أيضاً، ولم يترجم منها إلى اللغة العربية إلا عدد محدود جداً وفي العقود الأخيرة فقط من القرن العشرين وحتى الآن. وقد سمي العلم الذي عُنى بدراسة الكتابات المسمارية العراقية التي دونت باللغتين السومرية والآكدية أو بإحدهما، خطأ Assyriology 'علم الآشوريات' ربما لان أولى الكتابات التي ترجمها الغربيون جاءت من بلاد آشور Assyria، ولا يزال هذا العلم يحمل التسمية ذاتها.

كما ان التشابه الكبير الذي وجده الباحثون بين ما ورد في مضامين عدد من النصوص المسمارية وخاصة منها الدينية والأدبية والقانونية مع ما ورد في أسفار العهد القديم، كتاب اليهود المقدس^(*)، أثار ضجة كبيرة ليس في الأوساط العلمية فقط بل وفي الأوساط اللاهوتية ولدى عامة قراء الكتاب المقدس The Holy Bible. وتتابع البحوث والدراسات لبيان اوجه الشبه والاختلاف وانهاالت الأموال على البعثات التنقيبية وعلى مشاهير المنقبين ولا سيما أولئك الذين ادعوا انهم وجدوا مكان إبراهيم عليه السلام، مثلاً، أو بقايا سفينة نوح أو أصول الوصايا العشر او غير ذلك، وتباينت آراء الباحثين في تفسير هذا التشابه فمنهم من رأى فيه اقتباساً واضحاً، إذ اقتبس الأخبار اليهود القصص والأخبار السومرية والبابلية وضمّنها أسفار عهدهم القديم أثناء وجودهم أسرى في بلاد بابل في عصر المملكة الكلدية (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، ومنهم من رأى ان هذا التشابه انما هو تأكيد "على عمق الروابط بين النتاج الحضاري الرفاديني والتوراتي.... وبرهان على أصالة اشتقاقها" أي اشتقاق ما ورد في أسفار العهد القديم. ومن هذا التشابه والربط بين النصوص المسمارية وأسفار العهد القديم حاول الباحثون الأجانب، وجلهم من اليهود أو الموالين لهم، مد تاريخ اليهود الذي يفترض انه يبدأ مع بعثة النبي موسى

(*) ينظر: فاضل عبدالواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤٠.

إشارات من أخبار القرون الأولى وعن الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى الى الناس كافة ومنهم من بعث في ارض العراق، كما تشير إلى ذلك كثير من الادلة الاثارية. والى مدى تأثير رسالاتهم السماوية على حياة الناس وعلى معتقداتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم، كما تثبت ذلك أية دراسة مقارنة، كما أشارت إلى ما ورد في أسفار العهد القديم.

ان هذا الإغفال لما ورد في القرآن الكريم وعدم اعتماد القرآن مصدراً أساسياً في دراستنا للتاريخ القديم ونقطة انطلاق للبحث عما أشار إليه في بطون المواقع القديمة ومضامين النصوص المسمارية لا يمكن تفسيره الا انه ناتج عن جهل بما ورد فيه.

من أخبار وقصص و أحكام أو أفكار لدقتها وظن خاطئ بان ما فيه من إشارات انما هو اقتباس من أسفار العهد القديم الأقدم من حيث تاريخ التدوين او عدم اعتراف بقدسية القرآن الكريم وبانه كتاب الهي منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما قال الله سبحانه وتعالى فيها جميع الأحوال، فان ذلك يعد مأخذاً علمياً يؤشر على جميع البحوث المنشورة حتى الآن. عربية كانت أو أجنبية وفقاً للمعايير العلمية التي ثبتها الأجانب أنفسهم والتي يحكم من خلالها على علمية البحوث وموضوعيتها.

لهذا كلفه اصبح من واجب الباحثين العراقيين الذين تهيأت لهم فرصة الدراسة وتعلم قراءة النصوص المسمارية بلغتها السومرية والأكدية وبعد ان اطلعوا على البحوث الأجنبية ذات العلاقة وعرفوا أهدافها ومقاصدها الظاهرة والكامنة المقصودة منها وغير المقصودة بالمساهمة الفعلية في كتابه تاريخ العراق القديم ودراسة آثاره ونصوصه المسمارية وتمحيص جميع ما صدر من بحوث عن هذا التاريخ ونفدها نقداً علمياً بناءً واعتماد أسس علمية مثبتة لمدرسة خاصة يمكن ان نسميها المدرسة العراقية، تعتمد منهجاً يختلف عن منهج المدارس الغربية بأهدافها وأساليبها وطرائق دراستها، هدفها الأول والأساس معرفة ما حدث فعلاً من أحداث وتطورات سياسية وحضارية عبر تاريخ العراق القديم دون إغفال أي من الجوانب

Abstract

Iraqi School for Studying Ancient History of Iraq Pro. Dr. Amar S. Ibrahim (*)

The title of this paper suggests that there are some foreign schools that have bad intentions, so they are approaching disfiguration by way of their study of Ancient History of Iraq. Therefore the paper aims at establishing bases for studying this history that is free from non-objective aims and intentions.

(*) Dept. of Arch.- College of Atts / University of Mosul- Member of the Iraqi Scientific Association